الفصل الثاني

انتشار التشيع في العصر الصفوي

كانت غالبية سكان إيران من السنة، ولكن انتشار التصوف في آخر الدولة السلجوقية وانتشار الجهل ساعد على انتشار مذهب الشيعة الإثنا عشرية، خاصة في العصر المغولي حيث اختلط التشيع بالتصوف، فكانت المذاهب الصوفية وسيلةً مبدئية لانتشار أفكار الشيعة في إيران، فلما جاء الصفويون بدءًا من الشاه إسماعيل، وضوعوا السيف والقتل في رقاب الناس والعلماء، فأجبروا على اعتناق التشيع، فكانت مجموعات من الغزل باش يدورون في المدن والأسواق يطلبون من الناس البراءة من صحابة رسول الله ﷺ ومن لم يتلفظ بها يقتل.

فقد كان الشاه إسماعيل قد تربى على يد شيخ من الشيعة العلوية، فأُشرب كراهية صحابة رسول الله ﷺ وشتمهم، وأول عمل قام به هو شتم الصحابة والزيادة في الأذان: (أشهد أن عليًّا ولي الله) (وحي على خير العمل)، فكان يأمر جنوده بقتل كل من يعارض ذلك من السنة، وأشاعوا هذا الأمر في المساجد والأسواق مدعيًا أن الإمام الغائب قد خوله القيام بذلك، ونقل الدكتور علي الوردي أن الشاه إسماعيل كان يمتحن العلماء والناس بطلب سب الصحابة، فمن يرفض قتله بالسيف علانية، وهو الذي أحيا مواكب العزاء الحسيني في عاشوراء الذي استحدثه البويهيون ببغداد، فكان هذا الأسلوب سببًا في نشر التشيع خاصة بين الجهلة وقبائل البدو التي نزحت من الجزيرة إلى العراق، وذكر عبدالوهاب المسيري في الموسوعة اليهودية أن الصفويين أجبروا حتى اليهود بالدخول في الإسلام الشيعي، فتكونت منهم طائفة خاصة في مشهد سموا المارانو (المراؤون) أو اليهود المتخفين (متخفيين بالإسلام)[1].

(١) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، المجلد الثاني، ص١٧٩، مصر، دار الشروق، ١٩٩٩م.

وفي عهد الشاه طهماسب ولكونه صغير السن احتاج إلى مستشارين وشيوخ من الشيعة الإثنا عشرية، فاستقدم الشيخ علي بن عبدالعال الكركي من النجف، وكان من شيعة البقاع ومن مدينة كرك نوح، فلقي عنده حظوة كبيرة، وكان يأتمر بأمره، وقد أصدر أمرًا إلى جميع وزرائه وقواده بالسمع والطاعة للشيخ الكركي الذي ادعى أنه ولي أو وكيل عن الإمام الغائب، وقد كتب الكركي رسائل وكتبًا في الخراج الذي يجبى إلى الشاه، وأضفى عليه مشروعية دينية، وكتب رسالة في حلية شتم أبوبكر وعمر وسماها[1] (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) ورسالة في السجود على التربة الحسينية، ورسالة في وجوب صلاة الجمعة، وقد خالفه كثير من علماء الشيعة الإثنا عشرية خاصة في العراق، ومن أهمهم الشيخ إبراهيم القطيفي الذي رفض خدمة الشاه وهديته، وانتقد رسائل الكركي السالفة وآراءه.

وتولى مكان الكركي الشيخ حسين بن عبدالصمد الوافد من جبل عامل أيضًا، ولكنه كان زاهدًا صوفيًّا، فترك إيران، وسكن البحرين مبتعدًا عن أضواء السلطة، وقد نصح ابنه الشيخ محمد البهائي بترك خدمة السلطان أيضًا.

ولم تدم خدمته عند الشاه كثيرًا، بل ترك منصبه متجولًا في إيران وتركيا والشاه، وكتب كتابه الشهير بالكشكول ضمنه مختلف العلوم، ولم يكن متعصبًا للشيعة.

ومن آثار النزاع المستمر بين العثمانيين والصفويين أن هذا النزاع قد أنقذ أوروبا من احتلال العثمانيين، وقد شهد بهذه الحقيقة كثير من مؤرخي أوروبا، فكان الصفويون دائمًا في سياستهم ينحازون إلى الأوروبيين ضد الدولة العثمانية خاصة في علاقتهم مع البرتغاليين والإنجليز والإيطاليين والإسبان، ومن أسباب ضعف الدولة العثمانية في آخر عهدها استنفاد قوتها في حروب مع

(١) كولن تيرنر: المصدر السابق، ص١٠٣.

الصفويين إضافة إلى الأوروبيين، وقد وصل هذا التحالف ليس فقط لاحتلال البحرين وسواحل الخليج بل تعداه إلى الاتفاق مع البحرية البرتغالية لحصار مدينة جدة من قبل البرتغاليين، وأن يقوم جيش الصفويين بحصارها واحتلالها من البر عند احتلالهم للعراق.

ومن مؤثرات الصفويين في مذهب السنة في إيران أن دفعت كثيرًا من العلماء إلى الهجرة وترك إيران إما إلى العراق والشام أو إلى أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية، وقد أحصى الدكتور مشتاق عبد مناف الحلو في بحثه (الصفوية والعثمانية.. تطاحن الإيديولوجيات الطائفية) نحو ستين عالمًا ممن تركوا إيران، ويرى الدكتور علي شريعتي أن الجنس الفارسي من الإيرانيين والذين اعتنقوا التشيع في العهد الصفوي كانت لديهم نزعة قومية فارسية لإرجاع النفوذ الفارسي القديم منذ ما قبل الإسلام أرادوا إحياءه، ولكن على أسس مختلطة بين التعاليم المجوسية وتعاليم مذهب الشيعة الإثنا عشرية[١].

ونتيجة لانتشار التشيع في العصر الصفوي ظهر كثير من علماء الشيعة متأثرين بالمدارس الصوفية أمثال:

- الشيخ البهائي العاملي صاحب كتاب الكشكول.
- محمد تقي المجلسي، وهو تلميذ الشيخ البهائي.
- الملا محسن الفيض الكاشاني.

وظهر علماء شيعة قد تأثروا بالفلسفة خاصة اليونانية أو تأثروا بمقالات مجوسية أو نصرانية أو يهودية من أمثال: المير داماد: وهو محمد باقر الداماد الحسيني الإسترآبادي.

---

(١) د. علي الشيخ: الدولة الصفوية وأتباع الأديان والمذاهب الأخرى، ص ٩٤ (الصفوية التاريخ والصراع والرواسب) وما بعدها، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط٣ - دبي، ٢٠١١م، علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، جـ١، ص٤٣.

- الميرفندرسكي: وهو أبوالقاسم المير فندر سكي.
- صدر المتألهين (الملا صدرا الشيرازي).
- الملا عبدالرزاق اللاهي جي.
- الملا حسين التنكابنى.
- محمد بن علي رضا آقا جاني.

وإذا كان الإيرانيون وعلماؤهم من رجال الثورة يقتدون بجمال الدين الأفغاني فإن آراءه لا تتفق معهم حيث يرى أن العلاج الناجح للأمة إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته[١].

وقد بحثنا هذا الموضوع بالتفصيل في كتابنا (أثر العناصر الأجنبية على الشيعة الإثنا عشرية) (مكتبة العبيكان).

هجرة علماء جبل عامل الشيعة إلى إيران:

يرى بعض علماء الشيعة أن التشيع في الشام قديمًا يرجع إلى زمن نفي أبي ذَر الغفاري إلى الربذة على اعتبار أن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أصحاب الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو إلى زمن الصحابي سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومروره بدمشق زائرًا الصحابي أبًا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيروت، والحقيقة أن التشيع لم تتضح معالمه إلا بعد مقتل الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

---

(١) د. حيدر عبد المناف البياتي: (الصفوية التاريخ والصراع والرواسب)، ص١١٥ وما بعدها، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط٣ - دبي ٢٠١١م.

الأفغاني: رسالة الرد على الدهريين (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني) ص١٦٠ وما بعدها - تحقيق ودراسة: د. محمد عمارة - القاهرة، ١٩٦٨م.

د. صابر طعيمة: الأصول العقدية، ص١٧ وما بعدها - مكتبة مدبولي - القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٢) علي مروة: التشيع بين جبل عامل وإيران، ص٤٣-٤٧.

ويبدو أن التشيع الواضح الذي ترك بعض الأثر في المذهب الشيعي وهو الدليل القاطع كان إبان انتشار التشيع في العالم العربي زمن البويهيين حكام إيران والعراق. فقد امتد تأثير شيعة العراق في هذا الوقت إلى مدينة صور بلبنان، وكان ذلك في نهاية القرن الخامس الهجري، ثم القرن السادس والسابع بدأ تقاطر الشيعة إلى صور وطرابلس والكرك وجبل عامل، وأضحى العلماء فيها يفد إليهم طلاب العلم من إيران والعراق وغيرها، ولكن المنطقة هذه كانت تحت النفوذ الفاطمي الشيعي الإسماعيلي وهو منافس للتشيّع الإمامي الإثنا عشري الذي كان يرعاه البويهيون في العراق وإيران وبعض مناطق نفوذهم الأخرى.

ونشير إلى نفوذ الدولة الأيوبية التي كان مركزها حلب في هذه الفترة، وهي تتبنى التشيع الفاطمي الإسماعيلي والتشيع الإثنا عشري معًا، ولكن شعبها أكثرهم من أهل السنة، ولكنها واقعة بين النفوذين. من أوائل العلماء في جبل عامل في القرن السابع الهجري الشيخ نظير الدين العاملي، وكان له تلاميذ ومريدون، وهذا يدل على وجود بعض الشيعة في جبل عامل منذ ذلك الوقت، وقد رحل من علماء جبل عامل وجزين وجباع وما حولها إلى العراق طلبًا للعلم خاصة إلى النجف بعد أن أسس فيها الطوسي علمه ومدرسته، فكان إسماعيل بن الحسين الجزيني العاملي (٥٨٠ هجرى) من أوائل من رحل إلى العراق طلبًا للعلم، وبعد أن انتقل إلى العراق نقل التشيع العاملي إلى الحلة بمساعدة من الزيديين مثل كثير من طلبة العلم في جبل عامل وما حولها يدرسون في الحلة عن مشايخها منهم جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي العاملي، وكان في الحلة يومها الشيخ فخر الدين المطهر العلامة (٧٧١ هجري) وممن رحل أيضًا الشهيد الأول محمد مكي، ومنذ سقوط بغداد على يد هولاكو إلى بداية القرن التاسع الهجري أصيب التشيع وغيره بانتكاسة عاد بعدها إلى الانتعاش خاصة في الحلة، ومن بين الرحلات العلمية من قبل طلبة جبل عامل وما حولهم لم تكن فقط إلى العراق بل كانت أيضًا إلى الهند خاصة حيدر أباد وإلي مصر منهم الشهيد الثاني الشيخ صفي

الدين العاملي زار مصر سنة ٩٤٢ هجرية، وأخذ عن بعض علمائها. وعمومًا، فإن التشيع قد تأصّل في جبل عامل، وانتشر فيما حول المنطقة خاصة كرك نوح التي ينسب لها الشيخ الكركي وبسيطرة الصفويين على حكم إيران، ومن بداية حكم الشاه إسماعيل الصفوي بدأت رحلات شيوخ جبل عامل ولبنان تتوالى على إيران بتشجيع من الصفويين، حيث كان أتباعهم القز لباش من العناصر التركية لا يفقهون كثيرًا في المذهب الإثنا عشري غير ما تعلموه في الغلو وسب صحابة رسول الله ﷺ وإكراه سنة إيران وإجبارهم على التشيع بحد السيف، ومن أوائل من ذهب من جبل عامل إلى إيران الشيخ حسني عبدالصمد العاملي شيخه الشهيد الثاني زين العاملي حيث لم يحتمل العثمانيون آراء بعض الشيعة المتطرفة أو المغالية حيث قتل البعض أمثال المدعو بالشهيد الأول، حيث قد عملت العلاقات المتوترة بين العثمانيين (الذين يحكمون الشام) والصفويين الذين يحكمون إيران عملها في هذه الفتن. ولكن أهم من رحل من جبل عامل إلى إيران في عهد الشاه إسماعيل وبدعوة منه هو الشيخ علي بن حسين بن عبد العالي الكركي بعد إقامته بالعراق. وقد أغدق عليه الشاه المال الكثير لإنفاقه في نشر المذهب وتدريس طلبة العلم. وبعد وفاة الشاه إسماعيل بقي الكركي مكرمًا من ابنه الشاه طهماسب الأول، فعينه حاكمًا في الأمور الشرعية لجميع البلاد، وكتب له بذلك فرمانًا، وقيل: إن الكركي كان وراء العمل في تغيير القبلة التي كانت عليها مساجد إيران حيث حرفت إلى اليسار على عدة أسس ودعاوى منها ما قيل: إنها توافق الاتجاه للحجر الأسود، وقيل: إن ذلك جرى بعد تحقيق من علماء الهيئة، وقيل وهو الأول: ربما لمخالفة ما كان عليه سنة إيران حيث عمد الصفويون وبمساعدة من علماء الشيعة أمثال الكركي وغيره ممن قدموا من العراق والشام وهم ضد أهل السنة والعثمانيين إلى مخالفة أهل السنة في إيران لمحو آثارهم كما قدمنا... ونقل عن الشيخ نعمة الله الجزائري (وهو من علماء الشيعة الصفويين) أن الشاه طهماسب كان يعد الشيخ الكركي نائبًا للإمام

الغائب، وأنه كان يقول له: أنت الحاكم الحقيقي، ونحن أتباعك. وبعد أن جاء علماء الشيعة من جبل عامل قام الصفويون بمزيد من التقتيل لعلماء السنة حيث عمدوا إلى قتل الشيخ أحمد بن يحيى بن سعد التفتزاني سنة ٩١٦هجرية من علماء السنة.

وقد قيل: إن الكركي كان حينها في معية الشاه طهماسب، وإنه تأسف على مقتل التفتزاني، وقال: إنه كان راغبًا في محاورته، وعمومًا فإن للكركي تأثيرًا كبيرًا لما تركه من تلاميذ أصبحوا مؤثرين في التشيع الصفوي منهم عبد النبي الجزائري الشيخ الشهير بابن خاثون، وأثر الكركي في التشيع نتج عنه تركيز التشيع في إيران وصعود الشيعة إلى درجة المغالاة في المذهب وكراهية السنة.

بعد قيام الدولة الصفوية واتجاهاتها نحو التشيع المغالي والفظائع التي ارتكبها جيش القزل باش بقيادة الشاه إسماعيل، وجدت الدولة العثمانية نفسها مضطرة إلى قمع النفوذ الصفوي بدءًا بموقعة جالديران التي أشرنا إليها قرب تبريز للضغط على شيعة جبل عامل بلبنان ما دفع العثمانيين وخاصة في عهد السلطان سليم إلى تتبع وقمع الحركات الشيعية في أنحاء الإمبراطورية العثمانية وقبلهم أنهى أيضا سلطان المماليك على بلاد الشام مما ضايق تجمعات الشيعة في حلب ونواحي ساحل البحر الأبيض المتوسط، والذين تشجعوا بتأثير من الدولة الصفوية واتخذ هذا الصراع نهجًا مذهبيًا حيث قام قاضي القضاة العثماني الشيخ أبو السعود بإصدار فتوى بتكفير الشيعة جنود القزل باش.

ويلاحظ الباحث أن الثورات الشيعية والعلوية التي حصلت خاصة في العصر العباسي كانت أكثرها حركات فاشلة ما يضطر القائمين بها إلى الهروب عن مركز الدولة الإسلامية والتستر في الجبال والقلاع الحصينة، وهذا أمر مشاهد من أمثلته قيام دولة حسن الأطروش الزيدية في جبال الديلم بإيران منتصف القرن الثالث الهجري كما هو الشأن أيضًا في تمركز المذهب الزيدي

وانتشاره في اليمن خاصة على يد الداعية الزيدي يحيى الرسَى وبمساعدة من الداعية الكوفي الأصل والشهير بمنصور اليمن، ويبدو أن هذه الحالة تكررت أيضًا في جبل عامل بلبنان حيث تسللت قديمًا بعض الجماعات الشيعية من مذاهب شيعية شتى فيما يبدو في أول الأمر، ومن أوائل المناطق التي ذكر فيها تجمعات شيعية بلدة الظنية ومنطقة زغرتا كما وُجِد أيضًا في جبال كسروان مجموعات شيعية بعضها كانت من الغلاة فيما يبدو كما يشير الرحالة الإيراني ناصر خسرو في كتابه (سفر نامه) إلى أنه حينما زار مدينة طرابلس وجد فيها مجموعات من الشيعة أيضًا، وكان ذلك سنة ٤٣٨هـ، وكان أمراؤها فيما يبدو متصلين بالفاطميين الإسماعيليين بمصر، ويوجد في صيدا بعض الشيعة والكثير منهم في صور، و مذهب الشيعة كان منتشرًا في القرن الخامس الهجري في كل من حلب ودمشق، كل ذلك تحت المؤثرات السياسية التي قام بها البويهيون والفاطميون والحمدانيون. وفي أواخر القرن الخامس الهجري محا السلاجقة والأيوبيون المماليك مظاهر التشيع في كل من الشام ومصر خاصة، وأضحى التشيع حركة سرية انزوت في الأماكن الحصينة، ومنها جبال عامل. وفي كتاب (أمل الآمل) لمحمد بن الحسن العاملي الملقب بالحر العاملي سنة ١٠٣٣-١١٠٤هـ، وهو من المهاجرين من جبل عامل إلى إيران، فقد أحصى ما يقارب من مئتي وثلاثة عشر عالمًا منهم ستون هاجروا إلى إيران والبقية هاجروا إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، وقد عينه الشاه شيخًا للإسلام في مشهد، وعرف بكتابه أيضًا (الإثنا عشرية في الرد على الصوفية) ففي كتابه (أمل الآمل) توثيق لأسمائهم في الفترة الصفوية في إيران. وقد ذكر الحر العاملي بعض علماء جبل عامل منهم:

- طه بن محمد فخر الدين الجزيني.
- مكي بن محمد بن حامد الجزيني (ت٧٢٨هـ).
- نجم الدين طومان الجزيني.
- أبو القاسم بن الحسين بن العود الأسدي.

محمد بن مكي الجزيني والمشهور (بالشهيد الأول) في كتب الشيعة، ولد سنة ٧٢٠هـ، ورحل إلى الحلة بالعراق سنة ٧٥٠ هـ، ودرس على يد تلاميذ الحسن بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ) ورحل إلى بغداد، ودرس على يد الشيخ شمس الائمة الشافعي القرشي، ثم تنقل في الأمصار الإسلامية متظاهرًا عند علمائها بأنه شافعي المذهب، وفي حدود سنة ٧٦٠هـ رجع إلى جزين، وبعد مدة قصيرة اجتاح المنطقة حكم المماليك، فرجع كثير من السكان الشيعة إلى التسنن، وفي هذه الفترة رحل إلى دمشق، وفيها كتب أهم كتبه (اللمعة الدمشقية) مصنفًا على أبواب الفقه الإثنا عشري. ونقل عن تلميذه الشيخ المقداد السيوري الحلي أن المماليك أخذوا على الشيخ فكرته عن الإمامة المخالفة لفكرة المماليك عن الخلافة ما تسبب في محاكمته وقتله. ونقل أن المماليك قد أخذوا على الشيخ ما كان الشيعة يجمعون له من الأخماس. ومن المحتمل أن الشيخ وأتباعه قد وصل إلى درجة الخطورة على الحكم، ومقتله يعبر عن الاحتقان والتصادم السياسي بين الشيعة في تلك المناطق وبين السنة. وعمومًا، فقد اتهم بأنه رافضي يسب الصحابة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويحل المتعة، وأنه على مذهب الرفض من الشيعة. واتهم باقترابه من مذهب الشيعة النصيرية وهو مذهب منتشر في أقاليم شتى من سواحل البحر الأبيض المتوسط والجبال التي خلفه، وقد اكتسحت جيوش الدولة العثمانية نفوذ المماليك الذي انتهى بعد معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ، ويبدو أن هذه المنطقة ومنها جبل عامل قد دخلت في حقبة تاريخية شديدة الوطأة على الشيعة، وذلك بسبب الصدام العثماني الصفوي الذي سبق إيضاحه، فتحول التشيع في جبل عامل إلى حركة سرية، فقد نقل أن الشيخ زين الدين بن علي الجباعي حينما عرف العثمانيون بتشيعه طلبوه، فهرب إلى مكة المكرمة، فقبض عليه فيها، وأرسل إلى إسطنبول حيث تم معاقبته سنة ٩٦٥هـ.

وعلي بن أحمد بن أبي جامع، تعده بعض المصادر من أوائل الشيوخ الذين هاجروا من جبل عامل إلى إيران، وذلك بعد مقتل الشهيد الثاني.

محمد بن حسن بن زين الدين (ت١٠٣٥هـ) أيضًا هرب من جبل عامل إلى إيران الشيخ محمد بن علي الحرفوشي (ت١٠٥٩هـ) أيضًا هرب من جبل عامل إلى إيران.

أوائل المهاجرين من العلماء إلى إيران منهم:

- **علي بن عبد العالي الكركي ت٩٤٠هـ:** نسبة إلى كرك نوح قرب زحلة درس على يد الشيخ محمد بن محمد بن خاتون والشيخ شمس الدين محمد الجزيني وشمس الدين محمد بن أحمد، ورحل إلى دمشق والقدس ومصر والعراق، ثم اتجه إلى إيران في آخر عهد الشاه إسماعيل في وقت استولى العثمانيون على الشام. التقى الشاه في هراه، وكان الشاه قد قتل فيها بعض فقهاء السنة منهم أحمد بن يحيى الشهير بـ أحمد الحفيد، استقر في كاشان، واهتم بنشر التشيع عن طريق المدارس في الحواضر التي كان يزورها، وذلك بتأييد وإمداد من الشاه، وفي سنة ٩٢٩هـ أي قبل سنة وفاة الشاه إسماعيل ترك إيران، واستقر بالنجف بالعراق، ومن المحتمل أن الكركي قد اصطدم بشخصية الشاه إسماعيل وعلماء الشيعة الذين كانوا حوله، فأمضى ست سنوات في النجف، ثم رجع بعدها في عهد الشاه طهماسب الشاه صغير السن، فأصدر الشاه أمرًا نشأ فيه بوجوب طاعة الشيخ الكركي في جميع ما يقوله، وأسند ذلك إلى رواية من حديث عن الإمام الصادق. وعلل الباحثون هذا الأمر بتأسيس ما سمي ولاية الفقيه نائبًا ووليًّا عن حكم الإمام الغائب، فاتسع بذلك نفوذ الشيخ الكركي، وأضحى هو المدبر للنشاط السياسي والفقهي في إيران في هذا العهد. فكان يعين، ويعزل الكثير من المتولين لشؤون الدولة، وبسبب اتساع هذا النفوذ أغرى المتنفذين وخاصة القزل باش تلميذ الشيخ الكركي إبراهيم سليمان القطيفي بالاصطدام معه ومعارضة اجتهاداته الفقيه حيث كان الشيخ إبراهيم متأثرًا بالمدرسة الإخبارية التي لا تجيز الاجتهاد إلا في

حدود ضيقة (متأثرًا بشيخها أحمد الإحسائي) وقيل: إن الحال وصلت إلى محاولة اغتيال من قبل الأمير محمود بك مهر دار، ويبدو أن الشاه وجد حلًّا لهذا الإشكال، وذلك بإبعاد الكركي والشيخ إبراهيم معًا إلى العراق، وفي النجف توفي الكركي سنة ٩٤٠هـ وقيل: إنه توفي مسمومًا.

- **كمال الدين درويش محمد بن الحسن العاملي:** استقر به المقام بأصفهان سنة ٩٣٩هـ قيل: إنه تلميذ الشيخ الكركي، وإنه رحل معه إلى النجف، ولكنه عاد إلى إيران بعد وفاة الكركي.

- **علي بن هلال الكركي (ت٩٩٣هـ):** من تلاميذ الشيخ الكركي رحل من جبل عامل سنة ٩٣٢هـ إلى النجف، ثم رحل إلى الهند، ومنها إلى إيران حيث عينه الشاه طهماسب شيخًا للإسلام، واستمر في هذا المنصب في عهد الشاه إسماعيل الثاني بن طهماسب الذي ذكر عنه عدم تعصبه للتشيع، وتذكر بعض المصادر أن هذا قد ارتد عن التشيع ما سبب تألب فقهاء الشيعة وخاصة القادمين من جبل عامل حيث لم يطل حكمه أكثر من سنة.

- **حسين بن عبدالصمد الجباعي (ت٩٨٤هـ):** وهو تلميذ الشيخ زين الدين بن علي الشهير بالشهيد الثاني الذي قتله العثمانيون في جبل عامل، وقد رحل التلميذ حسين إلى بغداد، ثم رجع إلى بعلبك مقيمًا عند أستاذه، وبعد مقتل أستاذه سنة ٩٦٥هـ رحل إلى إيران (أصفهان) وبعد ثلاث سنوات التقى الشاه طهماسب، فعينه شيخًا للإسلام في قزوين، وبعد أربع عشرة سنة لم يطب له المقام، فذهب إلى الحج، وفيه توفي، وقيل: إنه مال نحو التصوف، وإنه يرى وجوب إقامة الجمعة، ويحتمل أنه دخل في خلاف مع علماء آخرين، فنقله الشاه من قزوين إلى هراه ذات الأغلبية السنية، وقيل: إنه بعد ذلك كتب لابنه بهاء الدين ناصحًا: «إن أردت الدنيا فارحل إلى الهند وإن أردت الآخرة فاتبعني، وإن أردت لا دنيا ولا آخرة فامكث في بلاد العجم».

- **بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين بن عبدالصمد العاملي (ت١٠٣٠هـ):** ولد في بعلبك سنة ٩٥٣هـ، ورحل مع أبيه إلى إيران وعمره ثلاث عشرة سنة درس على أبيه وعلى الملا عبدالله بن شهاب الدين حسين الدين اليزدي ودرس علوم الفلك والرياضيات والطب إضافة إلى علوم الدين، وحل محل أبيه شيخًا للإسلام في هراه، ثم رحل إلى الحجاز والقدس والشام ومصر وآسيا الصغرى، ثم رجع إلى إيران، فعينه الشاه عباس الكبير شيخًا للإسلام في أصفهان وفيها توفي. كتب كتابه الشهير (زبدة الأصول) نسب له بعض الشعر الصوفي الذي وصفه بعض الشيعة بالعرفاني ما سبب لمزه في بعض المصادر، ويبدو أن دراسته الواسعة للفلسفة والتصوف دفعته إلى ترك أصفهان والذهاب إلى الحج والسياحة في أرض الله كما يفعل المتصوفة، وذلك مدة ثلاثين سنة قيل: إنه متنكر بزي درويش شافعي، ثم رجع بعدها إلى إيران. وذكر له كتاب (أسرار قاسمي) في العلوم الغريبة وهندسة سور صحن مسجد الإمام علي في النجف ونسب له رسالة بالفأل، ونسب له كتاب (رسالة في وحدة الوجود) طبعت في مصر وهذا موضوع يتناوله أكثر الصوفية والفلاسفة، وله كتاب (جامع عباسي) في الفقه، وهو منسوب للشاه عباس الكبير بالفارسية، وله كتب في الرياضيات وقواعد اللغة العربية وديوان شعر، ويرى جعفر المهاجر في كتابه عن علماء جبل عامل أن الاتجاهات الصوفية عمومًا كانت موجودة في فقهاء جبل عامل[1] ويبدو لي أن الاتجاه الصوفي لدى فقهاء جبل عامل لم يحصل إلا بعد هجرتهم خاصة أولئك الذين هاجروا إلى إيران، وتمكنوا من الدراسة والالتقاء بشيوخ قد ألموا بعلوم الفلسفة والتصوف إضافة إلى الفقه الشافعي السائد يومها في إيران، ومع ذلك ينسب إلى الشيخ أحمد بن فهد الحلي توجهات صوفية في جبل عامل، وإن لم يهاجر إلى إيران

(١) جعفر المهاجر: الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي، ص٢٠٨، -دار الروضة للطباعة والنشر، ط١، بيروت- ١٩٨٩م.

وكذلك إلى الشيخ محمد بن محسن بن مرتضى الشهير بالفيض الكاشاني نسب له التأثر بالفلسفة الإشراقية (فلسفة أفلوطين) والغريب أنه من المدرسة الإخبارية التي تعادي عادة التوجهات العقلية وهو ليس عامليًّا كما كان شيخه الملا صدرا من فقهاء الشيعة المتأثرين بالفلسفة الإشراقية كل ذلك حسبما أوضحناه في كتابنا (أثر العناصر الأجنبية على بعض الشيعة الإثنا عشرية).

- **الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن فخر الدين البازوري.**
- **محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت١١١٠هـ) وأثره في التشيع الصفوي.**

يرجع نسب المجلسي إلى الشيخ الحافظ أبونعيم أحمد بن عبدالله بن موسى بن مهران الأصبهاني: صاحب كتاب (حلية الأولياء) الذي تصفه بعض كتب الشيعة بالعامي؛ أي السني. ولد محمد باقر المجلسي في عام ١٠٣٧هـ في أصفهان من أسرة علم، فقد كان أبوه محمد تقي المجلسي من علماء الإمامية الذين تأثروا في أول حياتهم بالتصوف، فقد كان جده صاحب (حلية الأولياء) صوفيًّا، وقد رحل الأب من أصفهان إلى النجف سنة ١٠٣٤هـ، ثم رجع عن التصوف متأثرًا بعلماء النجف المعادين للصوفية، درس محمد باقر علوم الشريعة في الفقه والحديث والأصول على والده وعلى الشيخ محمد طاهر القمي ودرس أيضًا على الشيخ محسن الفيض الكاشاني والشيخ محمد الحر العاملي، وحصل على إجازة بالمراسلة من الشيخ نور الدين علي بن علي الحسيني العاملي، ويُعدّ الشيوخ الآتية أسماؤهم من شيوخ المجلسي بشكل ثانوي أو محدد بموضوعات مختلفة، وهم: الملا محمد صالح المازندراني، وحسين علي بن عبدالله الشوشتري، ورفيع الدين محمد النائيني، وأيضًا المعروف بالميرزا رفيعا، ومير شرف الدين علي الشهرستاني النجفي، وعلي بن محمد بن الحسن الشهيدي الأصفهاني، ومحمد مؤمن الإسترابادي، ومحمد بن شرف الدين الجزائري، وقد درس المجلسي ما يسمى عند الشيعة علم المنقول والمعقول، ولكنه مال أكثر إلى أن يكون من

شيوخ المنقول (الأحاديث وأخبار الأئمة والمعجزات.... ويُتهم المجلسي بأنه مؤيد للسلطة الصفوية خاصة في عهد الشاه سليمان والسلطان حسين، وتولى إمامإمامة جامع أصفهان، ومن المعلوم أن أصفهان كانت عاصمة الصفويين ومركزهم السياسي، وقيل: إنه عين قاضيًا في أصفهان، واتهم المجلسي بتلفيق أحاديث لتثبيت وشرعنه ملوك الصفويين[١].

ومن غلاة علماء الشيعة في العصر الصفوي:

١- بهاء الدين العاملي الجبعي.

٢- عبد النبي الجزائري.

٣- نعمة الله الجزائري.

٤- العاملي الميرزا حبيب الله الكركي (ت١٠٩٥هـ).

٥- محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١٠٣٣هـ).

٦- الأغادين الخوانساري المحقق. ٧- محمد باقر المجلسي صاحب كتاب (بحارالأنوار).

كان لعلماء جبل عامل الشيعة المهاجرون إلى إيران الصفوية خدمة كبيرة للصفويين وللمذهب، ولكنهم مع الأسف شارك أكثرهم في الغلو في المذهب، وسكتوا، وحرض بعضهم على إيذاء السنة وإجبارهم على التشيع في تلك الفترة، وما ذكرنا من جملة العلماء إنما هم النموذج ولمن أراد التقصي والتفصيل مراجعة كتاب علي مروة عن تاريخ الشيعة في جبل عامل وهجرتهم إلى إيران الصفوية.

---

(١) كولن تيرنر: التشيع والتحول في العصر الصفوي، ترجمة: حسين علي عبدالستار: ص٢٥٥ وما بعدها - منشورات الجمل - بغداد، ٢٠٠٨م.

وعمومًا، فإن جبل عامل وما حوله من الشيعة الإثنا عشرية الذين يسمون في لبنان المتاولة مروا خلال فترة النفوذ العثماني على هذه المنطقة بمشكلات وأحداث حربية طائفية دفعتهم في بعض الأحيان للتحالف مع الجيش الفرنسي أيام نابليون بونابرت ومرة أخرى مع مسيحيي المنطقة الذين هم الآخرون تحالفوا مع الفرنسيين.

وكان الجو العام في جبل عامل دفع العلماء الشيعة للهجرة إلى الشام والعراق، وكان حكم الصفويين لإيران واستقراره فيما بعد ومعاداة الجميع للدولة العثمانية سببًا لرحيل كثير من شيعة جبل عامل وعلمائها إلى شتى المدن الإيرانية واستيطانهم[١] فيها، وعمومًا فإن أهم الآثار الفكرية الناتجة عن أعمال الشيعة العرب في إيران إبان تلك الفترة تتلخص فيما يلي:

١- كان مذهب الإخباريين من الشيعة الإثنا عشرية قد انتشر بواسطة الشيخ أحمد الأحسائي وتلاميذه في العراق خاصة، وهم في منهجهم يوثقون جميع الأخبار الواردة في كتب الحديث، ولا يطعنون فيها مثلما وصل هذا التيار إلى إيران في خفية من الصفويين كان انتصارًا في النهاية للأصوليين من علماء الشيعة والعلماء العرب، كانوا في غالبيتهم يقودون هذا الاتجاه، منهم يعتمدون قواعد فقه الأصول في تحقيق النصوص إلى الذي يمليه عليهم تفكيرهم، فقد لا يوثقون أخبارًا وردت من كذابين أو من لا يوثق بدينهم أو لأي سبب آخر يقدح في شخصهم أو علمهم، وهذا الفريق كان قديمًا يقوده الشيخ المفيد والطوسي والسيد المرتضى أفاد هذا الاتجاه متأثرًا بما عليه أهل السنة من أصول الفقه المفيدة تطورت منذ عهد الشافعي كما لا يخفى أثر المدرسة المعتزلة في هذا التوجه عند الشيعة عمومًا. كان الأصوليون الشيعة هم أدوات تطور الفقه، ففي هذه المقولة تطور عندهم وجوب الاجتهاد وترك التقليد (الذي لا يميل إليه الإخباريون).

---

(١) علي الزين: فصول من تاريخ الشيعة في لبنان، عرض بدر الدين عباس: المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، ١٤١٢هـ.

وسبب هذا التوجه ظهر فيما بعد بين العلماء الأصوليين الشيعة ما يسمى آية الذي يتصدى للاجتهاد يجب أن يكون من أعلم العلماء، وأن الجميع قد شهدوا له بذلك وفى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ظهر هذا المفهوم، ونتج عنه أن المتصف بتلك الصفة يستحق أن يكون نائبًا عن الإمام الغائب، وأن اجتهاده ورأيه هو من رأي الإمام الغائب. وهذا العالم هو الذي يستحق أن يقلد، ومن هنا نشأ ما يسمى عند الشيعة المرجعية الدينية، وأصبح لكل قوم اتجاه ومرجع يعتمدون تقليده ودفع الزكاة والخمس له ولنائبه، وهناك تنافس بين المرجعية في قم ومرجعية النجف وهذا التنافس والخلاف قد يسبب لإيران الكثير من المشكلات السياسية حيث تتمحور غالبًا مرجعية النجف حول توجهات العرب الشيعة، ولم يكن مثل ذلك واضحًا فيما قبل.

وعن القول بالمرجعية وتقليدها أنتجت خاصة عند المُلا أحمد النراقي (ت١٢٤٥هـ) ما يسمى فيما بعد بوضوح ولاية الفقيه حيث إن هذا المرجع يجب أن يكون وليًّا ونائبًا عن الإمام الغائب، وأعطوا تلك الولاية قدسية بحيث تحل محل الإمام الغائب في الحكم، وهذا مفهوم سياسي يهدد السلطان لم يظهر من قبل.

إن البويهيين وقد كانوا زيدية انقلبوا بعد ذلك عند احتلالهم بغداد إلى إماميه إثنا عشرية؛ لأن إمام هؤلاء غائب يمكنهم من الحكم بخلاف الشيعة الزيدية الذين أفهموا عضد الدولة عند دخوله أن الحكم للداعي الزيدي وليس له، وقد تطورت هذه الفكرة إلى نظرية عند الخميني ظهرت بشكل تطبيقي لا نظري في ظل حكومة الثورة الإسلامية في إيران[1].

(١) أحمد كاظمي موسوي: ظهور مرجعية التقليد في المذهب الشيعي الإثنا عشري أو الاجتهاد، العدد الرابع ١٩٩٨م بيروت/ البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣: ص١٨١وما بعدها/ القرطبي: التفسير، ج ١، ص٨٢/ الشهرستاني: الملل، ج١، ص١٨٤/ الكشي: رجال، ص٢٢٥ وص٢٦٦:/ المفيد: الإرشاد، ص٤١٣، نعمة الله الجزائري: الأنوار النعمانية، ج٢، ص٢٥٦.